معهد التربية

حضرة احمد ساهي حسن بك
ناظر معهد التربية

في الصيف سافرت الى انجلترا للاشتراك في مؤتمر التربية الدولي ، ومشاهدة المباحث المتعددة التي تعمل فيها شعبه المختلفة. وقد عدت من انجلترا وانا مقتنع كل الاقتناع بأن معهد التربية المصري لا يقل في مستواه عن ارقى المعاهد المناظرة له في العالم . وسنرى عند ما نبسط نظام معهدنا ؛ انهُ يسير في جل نظمه وفق آخر ما وصل اليهِ علماء التربية في مؤتمرهم الاخير

تنقسم الدراسات في معهدنا إلى قسمين : ابتدائي ، وثانوي . ويلحق بالاول منهما الطلاب الحاصلون على شهادة الدراسة الثانوية ، ويلحق بالثاني الطلاب الحاصلون على درجة بكالوريوس في الآداب او العلوم . وليس الحصول على هذه الاجازات العلمية هو الشرط الوحيد للانتظام في المعهد ، بل هنا امتحانان يجتازهما الطالب اولهما الكشف على الصحة العامة كشفاً دقيقاً ، وثانيهما ما نسميه امتحان الهيئة ، تتولى فيهِ لجنة مكونة من ناظر المعهد ووكيله واستاذ التربية الطبية واستاذ التربية الاجتماعية واحد مدرسي العلوم واحد مدرسي الآداب ، اختبار المستوى الفكري العام للطلبة المتقدمين ، ومحاولة تقدير عنصر الشخصية في كل منهم . ويتسع معهدنا الآن لمائة وسبعين طالباً ، يقضي طلاب القسم الابتدائي ثلاث سنوات قبل تخرجهم ، ويقضي طلاب القسم الثاني سنتين. وقد وجدت في انجلترا ان حاملي شهادة البكالوريوس يقضون عاماً على الاقل في المعهد. اما طلاب القسم الابتدائي فان مرحلة دراستهم تستمر أربعة اعوام . ونحن نرجو ان نصل . اما في اسكتلندا ، فهم هناك يختارون المدرس الثانوي من حائزي اجازة الماجستير على الاقل ، ويمكثون في المعهد عاماً ونصف عام للدرس ويرضون تحت التمرين مدة نصف سنة

يدخل الطلاب معهدنا ، لا لنحشو أذهانهم بالعلوم النظرية ، والدراسات المعقدة في الكتب ، بل لنكوّن منهم رجال اجتماع قبل كل شيء ، يعتمد الفرد في معلوماته على تجاربه ومشاهداته الخاصة ، ليكمل بها ما يقرؤهُ في الكتب . . فهو يمارس الرياضة البدنية على أوسع نطاق ، يلعب كرة القدم والهوكي وكرة السلة والبادمنتون وألعاب القوى ويسبح ويجدف ويغرم بالألعاب السويدية . ولا تفرض هذه الألعاب على الطلاب فرضاً ، بل يأخذ منها كل طالب ما يوافق تكوينه الجسمي ، اذ الغاية منها القيام بتمرينات علاجية Corrective exercises ، تصلح عيوب البدن ، وتقوّم نواحيه الضعيفة . ويعد ظهر الاثنين من كل أسبوع ينقلب المعهد إلى ملعب كبير تجري فيهِ أنواع التمرينات والمباريات على أحدث الطرق

ثم اننا نعنى عناية كبيرة بالحياة الكشفية فلدينا ١٣٠ جوّالاً من ١٧٠ هو عدد طلاب المعهد

وإلى جانب الرياضة البدنية والعناية بها ، تمهد للطالب السبيل لتكوين ثقافته الاجتماعية ، ولا سيما ما يتعلق منها بالطفولة . فهو يزور مثلاً مستشفى المجاذيب ومراكز رعاية الطفل وإصلاحية الاحداث ، ويقف على نظمها ويدوّن مشاهداته وخواطره . . وهو يزور معالم البلاد الصناعية والتاريخية والعمرانية . لاننا لا نجيز أن يقوم مدرس بالتحدث لطلابه عن قناة السويس ، وهو لم ير طول حياته قناة السويس ، او يشهد الموانىء والمنارات . ويعمد الطلبة عقب كل رحلة من رحلاتهم إلى الاطلاع — بقدر استطاعتهم — على ما كتب في موضوع رحلتهم من كتب او تقارير ، ثم يدونون خلاصة دقيقة لما رأوا وما علموا ، وما لاحظوا . .

ومن هنا نرى أن « شخصية » المدرس هي أهم ما نعنى بإبرازه في طلابنا . ونحن نقوم الآن — مثلاً — بدراسة قانون نظام المدارس الحالي وهو قانون قديم يرجع الى اول هذا القرن ، ونضع دستور المدرسة الحديثة مسترشدين بتجاربنا ، وبآخر ما وصلت اليه النظم الاوربية في هذه الناحية . وبعد أن نظهر في طالبنا « شخصية المدرس » التي ذكرنا ، نوجه كل قوته إلى حب الطفولة لكي يطبق عليها دراساته في رضى واقبال . فالطفل عندنا مقدم على المادة . والطفل هو الذي يكيف نظرية التربية ، لا النظرية هي التي تكيف الطفل . ولهذا فنحن ندرس علم النفس التجريبي دراسة عميقة . ونضيف اليه مادة جديدة هي مقاييس الذكاء . وقد تمكنا خلال السنوات الخمس الماضية من اجراء مباحث ممهدة في هذه الناحية ، وطبقناها على آلاف التلاميذ في جميع مراحل الدراسة ، وحصلنا بعد مجهود متواصل على مقاييس دقيقة تصلح لكل سن

وكان توزيع التلاميذ في الفصول يجري قديماً بحسب ترتيب الحروف الابجدية فيجلس التلميذ الموهوب بجانب الشاذ ، ويجلس الشاذ بجانب الغبي . ويؤدي هذا النظام الى الهبوط بمستوى المدرس الى درجة توافق الضعيف ، فتكون النتيجة ان يسيء التلميذ الموهوب اول الامر يدرسه ، فيهمل ، فيؤذى ويعاقب ، فيفقد الثقة بنفسه ، وبذا تنطفىء لمعة ذكائه

اما الآن ، وبعد ان اوجدنا النظم التي تمكن بها من تقسيم الاطفال بحسب استعدادهم العقلي ، فقد استطعنا ان نوزعهم طوائف متقاربة تفصل كل واحدة منها عن الأخرى ، وتلقن كل طائفة من العلم ما يوافقها

وقد تحدثوا في مصر طويلاً عن الشواذ . والحّ الملحون في وجوب عمل شيء من اجلهم . والحقيقة ان الشذوذ في الاطفال يرجع الى ضعف في العقل ، او في الجسم . ومن حق الامة على الدولة ان تعنى بهؤلاء الشواذ . فنظام التعليم الاجباري يقضي بان يتعلم الجميع . ولذا ينبغي ان تكون لدينا مدارس للاعمى والكسيح والأبكم . وان يلقن هؤلاء من العلم ما يوافق حالاتهم ، مع العناية المبكرة بتقديم العلاج لهم ان كان في الاستطاعة علاجهم لان كثيراً من هذه الحالات

تستعصي على النطب لاهمالها . هؤلاء هم الشواذ جسماً . اما شواذ الذكاء فينبغي ان يكون لهم نظام خاص لكي يوجهوا توجيهاً نافعاً ، صوب الناحية العملية دون الحياة النظرية . وكثيراً ، بل غالباً ما تقوى في قليلي الذكاء المقدرة العملية . فاذا اهمل هؤلاء ولم تستغل قواهم فان شذوذهم ينمو ، والشذوذ عادةً هو موطن الاجرام

وقد دعانا هذا الاتجاه الى انشاء العيادة السيكولوجية في المعهد ، ومهمتها البحث في العامل من جميع نواحيه ، ومعرفة نواحي شذوذه ، وهل هي راجعة الى العقل او الحس او الخلق ويبحث القائمون بهذه العيادة مثلاً في بيئة الطفل ، فقد تكون لحياته المنزلية تأثير فيه . فتسعى العيادة الى علاج المنزل نفسه . ولهذا أوجدنا في العيادة ثلاث سيدات يعملن في القسم الاجتماعي من العيادة . ويقوم القسم الطبي في العيادة بفحص الطفل فحصاً دقيقاً ، وسرعة تاريخ امراضه ، وامراض أسرته ، فقد ترجع علته الى وراثة من ابيه او امه ، ثم يقوم المدرس بتفقد نزعات العقل الخلقية ، لمعرفة اتجاهه الفكري وتقدير استعداده . وكثيراً ما وجدنا ان شذوذ اطفال يرجع الى شجار منزلي بين الاب والام . او الى وفاة او طلاق احد الابوين او الى معاملة الخدم ، او الى نوع الغذاء او ترتيب المنزل

وفي القسم التجريبي من معهدنا الذي يلحق به الاطفال ، وتسمح لنا وزارة المعارف بأن نطبق نظرياتنا عليهم ، تتجلى فائدة هذه النظم بقوة ووضوح . وقد اكتسبت تجارب العاملين في العيادة السيكولوجية ، حتى ليمكن ان نقول انها تشبهُ في مقدرتها رجالها وسيداتها ارقى العيادات العالمية وان كان ينقصها الكثير من الاستعداد العملي

وسأذكر لك على سبيل المثال حالة من الحالات الكثيرة التي مرت علينا في هذا الباب . لأحد كبار المصريين ابن ، ظل يتقدم لامتحان الشهادة الابتدائية ثلاث سنوات متعاقبة وهو يرسب وقد فصل من مدرسته ، وأبت المدرسة قبوله بحسب قانون المدارس ، فأشير على الاب بارساله إلينا فجاءنا الولد ، وقضاء في عيادتنا ، وبعد ان عرفنا السبب في تأخيره ، تولياه بالعلاج ، ثم تقدم الغلام للامتحان في العام الماضي ، فكان أول الناجحين من تلاميذ فصولنا التجريبية

وإذن فمعهدنا يقوم في عمله على الاسس الآتية :

اولاً — العناية بالجسم . ثانياً — العناية بالثقافة العامة . ثالثاً — الرحلات والمشاهدات . رابعاً — المكتبة . خامساً — علوم التربية واهمها علم النفس ، والتربية التجريبية ومنها مقاييس الذكاء . والتربية العملية وتاريخ التربية . وستدخل مادة جديدة هامة في برامجنا وهي التربية المقارنة Comparative Education . وقد تخرج في معهدنا حتى الآن ٩٤ مدرساً ثانوياً ، و١٢٣ مدرساً ابتدائياً . ولكن مما يؤسف أن المجال في تطبيق دراساتهم لا يزال ضيقاً ، لان المدارس تتبع الطرق القديمة . ولكن تبدو قوة تخرجنا في جميع نواحي النشاط الاجتماعي اينما وجدوا